



المهاتما ومريديهم في الهند

إعداد وتحرير

دانيال إتش. كالدويل

ترجمة:

جهاد الياس الخوري

توطئة

ساهمت هيلينا بيتروفنا بلافاتسكي (1831-1891) - وهي باحثة في العلوم الباطنية (العلوم الغيبية) ومؤسسة مشاركة لـ "الجمعية الثيوصوفية"، روسية المولد - في تعزيز المعرفة الغربية بالأديان، والفلسفات، والأساطير الشرقية، والقديمة. وتعد أعمالها الرئيسية مثل: "إيزيس مكشوفة النقاب"، و"العقيدة السرية" و"مفتاح الثيوصوفيا" و"صوت الصمت" من كلاسيكيات الأدب الباطني والثيوصوفي.

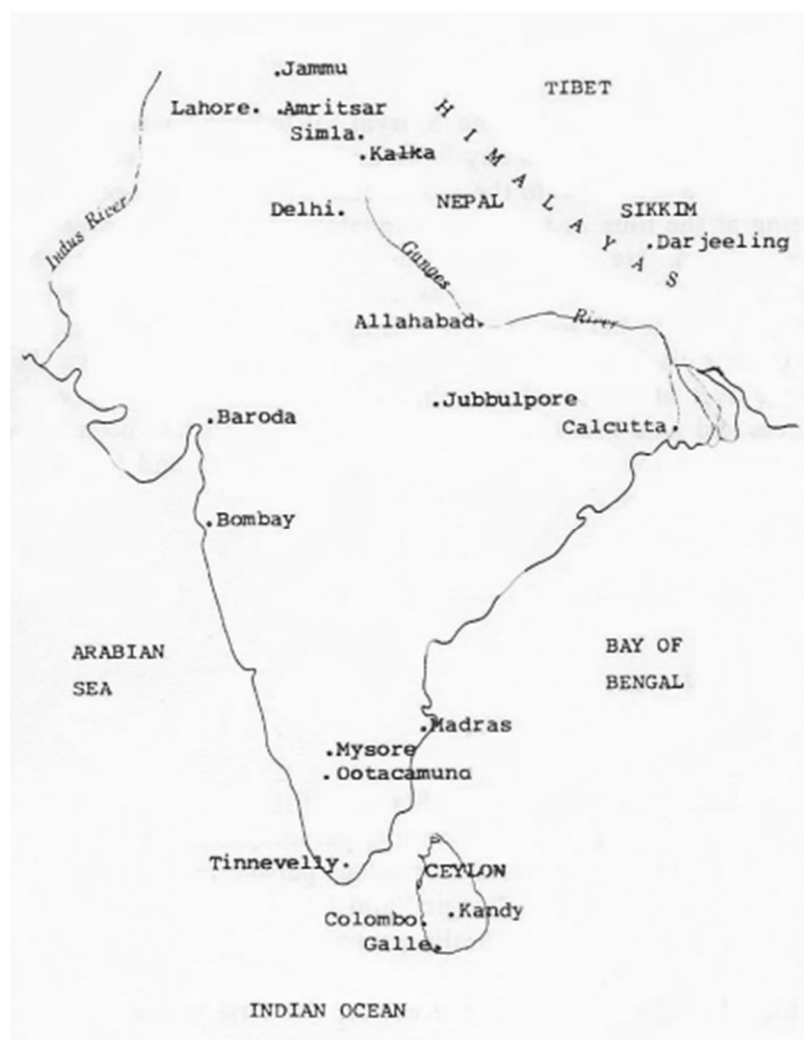
لقد أظهرت "ه. ب. ب."¹ (كما كانت تُلقَّب) قدراتٍ خارقةً للطبيعة ومذهلة، وادَّعت أنها على تواصل شخصي مع نخبة من الحكماء و"المهاتما" و"المعلمين الروحيين" الذين يعيشون في التبت ولاداخ والهند وسريلانكا وأماكن ثائية. وفي الصفحات الأولى من كتابها الأول "إيزيس مكشوفة النقاب" كتبته عام (1877)، خاطبت السيدة بلافاتسكي قراءها قائلةً:

"عندما سافرنا لأول مرة عبر الشرق قبل سنوات... التقينا برجالٍ تحلَّوا بقوة غامضة ومعرفة عميقة، لدرجة أننا نستطيع بحق أن نطلق عليهم لقب "حكماء الشرق"؛ وقد

¹ H.P.B.

أصغينا بقلوبٍ مفتحةٍ ومستعدةٍ إلى ما قدموه لنا من تعاليم"
(المجلد الأول، ص 6).

بين دفتي هذا الكتاب، سيجد القارئ رواياتٍ وشهاداتٍ مفصلةً
لسبعةٍ من الأعضاء الهنود في "الجمعية الثيوصوفية" في
بداياتها، ممن التقوا بـ "المعلمين الحكماء" معلمي بلافاتسكي.



الهند في 1880

مقدمة

كانت هيلينا بيتروفنا بلافاتسكي (1831-1891) أول شخص في العصر الحديث يدّعي التواصل مع "حكّماء" أو "مهاتما" شرقيّين معيّنين (مثل موريا، وكوت هومي، وجوال خول، وهيلاريون، وغيرهم)². وفي الصفحات الاستهلالية لكتابها الأول الصادر عام 1877 "إيزيس مكشوفة النقاب" خاطبت قراءها قائلة:

"عندما سافرنا لأول مرة -قبل سنوات- عبر الشرق... التقينا برجالٍ تحلّوا بقوى غامضة ومعرفة عميقة، لدرجة أننا نستطيع بحق أن نطلق عليهم لقب "حكّماء الشرق". وقد أصغينا باهتمام واستعدادٍ بالغين إلى تعاليمهم... إن العمل الذي نضعه الآن بين يدي القراء هو ثمرة معرفة وثيقة إلى حدٍ ما بهؤلاء العارفين الشرقيّين، ونتاجٌ لدراسة علومهم".

المجلد الأول، الصفحتان 5 و6.

بين دفتي هذا الكتاب، سيجد القارئ الروايات والشهادات المفصلة التي قدمها سبعة أعضاء هنود من أوائل أعضاء "الجمعية الثيوصوفية" ممن التقوا بـ "المعلمين الحكّماء" معلمي بلافاتسكي³.

² Morya, Koot Hoomi, Djual Khool, Hilarion.

نلاحظ أن هذين المقطعين مكررين مرتين. المترجم.³

جرت صياغة هذه الروايات والشهادات وتجميعها ومطابقتها استناداً إلى مصادر أصلية أولية متنوعة، غير أن بعض المواد حُذفت دون إشارة صريحة إلى ذلك. كما خضع النص لتعديلات طفيفة شملت إضافة بضع كلمات وعبارات توضيحية إلى النص الأصلي من حين لآخر لجعل القصص عموماً أسهل قراءةً وفهماً. ولم تُوضع هذه الإضافات بين قوسين.

للمزيد من المعلومات حول مدام بلافاتسكي والمهاتما، يرجى الرجوع إلى المصدرين التاليين:

1. العالم الباطني للسيدة بلافاتسكي. جمعه دانيال هـ. كالدويل. دار كويست بوكس للنشر الثيوصوفي، ويتون، إلينوي، الولايات المتحدة الأمريكية، 2001؛ و....

2. الملحق 4 (الصفحات 105-127) بعنوان "السيدة بلافاتسكي والمهاتما".

هذا الكتاب مُهدى إلى ذكرى دامودار ك. مافالانكار، الذي تظهر صورته على الغلاف الأمامي للكتاب؛ وتَرِدُ تفاصيل علاقته بالأمر بكلماته هو في الفصل الأول.

في أبريل 1890، كتبت السيدة بلافاتسكي رسالة مفتوحة إلى الأعضاء الهنود في الجمعية الثيوصوفية، أطلقت فيها هذا التصريح الاستشراقي: "إن دامودار... يمتلك الآن فرصة ليصبح يوماً ما مهاتماً". (المؤلفات الكاملة لـ "هيلينا بتروفنا بلافاتسكي"، المجلد الثاني عشر، ص 159).

دانيال إتش. كالدويل.

الفصل الأول

وجود مهاتما الهيمالايا

بقلم دامودار ك. مافالانكار⁴

إن الانتقادات الموجهة إلى كتاب السيد "سينيت"⁵ "العالم الغيبي"⁶ تفرض عليّ واجباً، ألا وهو الشهادة -استناداً إلى تجربتي ومعرفتي الشخصية- بأن أولئك الذين نطلق عليهم اسم "إخوتنا من القسم الأول" (والمعروفين أيضاً باسم "المعلمين" أو "المهاتما") -والذي يُعد "كوت هومي لال سينغ"⁷ واحداً منهم، ويمتلكون ما يُسمى بالقوى "الإعجازية"- هم كائنات حقيقية وحية.

بالنسبة لي، الأمر ليس مجرد اعتقاد، بل هو يقين ومعرفة؛ فقد رأيت -على الأقل- نحو ستة منهم في مناسبات شتى، وفي وضوح النهار وفي أماكن مفتوحة، وتحدثت إليهم؛ ولم يقتصر ذلك على الفترة التي كانت فيها السيدة "بلافاتسكي" في بومباي، بل شمل أيضاً الأوقات التي كانت فيها بعيدة عني بينما كنت أنا هنا. كما رأيتهم في أوقات ثانية أثناء سفري،

صورة دامودار في الصفحة الأولى. المترجم.⁴

⁵ Sinnett.

⁶ Occult World.

⁷ Koot Hoomi Lal Singh.

واصطُحِبْتُ إلى مساكن بعضهم، وكان ذلك في إحدى المرات
برفقة العقيد "أولكوت" والسيدة "بلافاتسكي". إنني أعرف
"كوت هومي لال سينغ" معرفةً شخصية، وقد رأيته وتحدثتُ
إليه في الأوقات التي كانت فيها السيدة "بلافاتسكي" هنا،
وكذلك حين كانت بعيدة.

لقد كان لدي يقينٌ راسخ بوجود "المهاتما" (الحكماء العظام)
في جبال الهيمالايا قبل وقت طويل من سماعي باسم "الجمعية
التيوصوفية"؛ بل حتى قبل تأسيسها في أمريكا عام 1875.
ففي طفولتي، ألم بي مرضٌ عضالٌ خطيرٌ جداً لدرجة أن
الأطباء فقدوا الأمل في نجاتي. وبينما كان أقاربي يترقبون
وفاتي في كل لحظة، حظيتُ برؤيةٍ تركت في نفسي أثراً عميقاً
لا يُمحى؛ إذ رأيتُ شخصيةً معينةً -اعتقدتُ حينها أنها
"ديفا"⁸، أي كائن إلهي- قدمت لي دواءً فريداً، والمثير
للدهشة أنني بدأتُ أتماثل للشفاء منذ تلك اللحظة. وبعد مرور
بضع سنوات، وبينما كنتُ منشغلاً يوماً ما بالتأمل، رأيتُ
الشخصية ذاتها وعرفتُ أنها مُنقذي؛ فقد أنقذني ذلك الكائن
مرةً ثانية من براثن الموت.

بعد مرور بضع سنوات على تلك المناسبة الأخيرة، وصل
مؤسسو "الجمعية التيوصوفية" إلى الهند، وانضمتُ أنا إلى
الجمعية في غضون بضعة أشهر. ومنذ ذلك الحين، شهدتُ
ظواهر عديدة، سواء في حضور مدام بلافاتسكي أو في

⁸ Deva.

غيابها، وسواء كنتُ بصحبة آخرين أو بمفردي. وقد نُشرت العديد من هذه الروايات في مجلة الثيوصوفي⁹ باسمي من حين لآخر، غير أن هناك وقائع ثانية لم تُنشر، كنتُ قد كتبتُ عنها في مراسلات خاصة مع أصدقاء ثيوصوفيين في لندن ونيويورك.

قد أضيف هنا أنه بعد فترة من انضمامي إلى الجمعية، رأيتُ عدداً من "المهاتما" -سواء في هيتهم النورانية أو في أجسادهم المادية- وكان من بينهم المهاتما "كوت هومي"، المعروف بكونه مُراسِل السيد "سينيت" ومؤلف الرسائل التي نُشرت في كتاب "العالم الغيبي".

وحين رأيته، أدركتُ على الفور أنه تلك القوة المهيبة التي كنتُ قد رأيتها ثلاث مرات في شبابي؛ ذاك الذي أنقذ حياتي مرتين وتجلى لي مرةً أثناء تأملي. لقد تلقيتُ منه -ومن غيره- رسائل عديدة؛ وتلك التي كُتبت بقلمه -سواء تسلمتها منه مباشرةً أو عبر وسيط آخر- تحمل جميعها الخط ذاته. أما في الآونة الأخيرة، ونظراً لأنهم آثروا توجيه تعليماتهم لي شفهيًا، فقد أصبحت أتلقي عدداً قليلاً جداً من المراسلات المكتوبة.

في إحدى قرى سيلان في مايو 1880، كنا أنا وهـ. ب. ب. والعقيد أولكوت الأشخاص الثلاثة الوحيدين الذين مكثنا ليلة واحدة، إذ ذهب باقي أفراد مجموعتنا إلى مكان آخر. انشغلنا جميعاً هناك بتلقين الأعضاء الجدد وتأسيس فرع لجمعيتنا حتى

⁹ The Theosophist.

حوالي منتصف الليل. ذهبت هـ. ب. ب¹⁰. والعقيد أولكوت إلى النوم حوالي الساعة الواحدة صباحاً.

بما أننا كنا مضطرين للبقاء في القرية ليلة واحدة فقط، فقد نزلنا في دار الاستراحة التي لم تكن توفر إقامة مريحة إلا لمسافرين اثنين؛ ولذا، كان عليّ أن أنام على مقعد وثير في غرفة الطعام. وما إن أغلقتُ باب الغرفة واستلقيتُ على المقعد حتى سمعتُ طرقاً خافتاً على الباب. تكرر الطرق مرتين قبل أن أتمكن من الوصول إلى الباب؛ وحين فتحتُه، غمرتني فرحة عارمة لرؤية "المعلم"! فقد أمرني بصوت هامس للغاية أن أرتدي ملابسني وأتبعه.

يقع البحر عند الباب الخلفي لبيت الاستراحة. تبعته كما أمرني؛ فقد قادني إلى الباب الخلفي للمكان، وسرنا نحو ثلاثة أرباع الساعة بمحاذاة الشاطئ، ثم انعطفنا باتجاه البحر.

كان الماء يحيط بنا من كل جانب، باستثناء الموضع الذي كنا نسير عليه، فقد كان جافاً تماماً!! كان هو يسير في المقدمة، وكنت أتبعه. واصلنا السير على هذا النحو لنحو سبع دقائق، حتى وصلنا إلى بقعة بدت أشبه بجزيرة صغيرة.

كان فوق المبنى ضوءٌ مثلث الشكل. ومن بعيد، قد يظنُّ الواقفُ على شاطئ البحر أنه بقعةٌ منعزلةٌ تغطيها الشجيرات الخضراء بالكامل.

هيلينا بتروفنا بلافاتسكي. المترجم. ¹⁰

بعد وصولنا إلى الجزيرة، اضطررنا إلى التجول حول المكان لنحو خمس دقائق قبل أن نصل إلى واجهة المبنى المقصود. وهناك، في حديقة صغيرة أمام المبنى، وجدنا أحد "الإخوة" جالساً؛ كنت قد رأيته من قبل في "قاعة المجلس"، وهذا المكان يخصّه في الأصل. جلس "المعلم" بالقرب منه، بينما وقفتُ أنا أمامهما. بقينا هناك لمدة نصف ساعة تقريباً.

أُتيح لي الاطلاع على جزء من ذلك المكان. كم هو لطيف للغاية! وفي داخله، توجد غرفة صغيرة يبقى فيها الجسد حين تنطلق الروح لتتجول في الأرجاء. يا له من مكان ساحر ومبهج! وتفوح فيه رائحة زكية من الورود ومختلف أنواع الأزهار. أتمنى لو يُسمح لي بزيارة ذلك المكان مجدداً، إذا ما قُدِّر لي العودة إلى سيلان في وقتٍ آخر.

انقضت النصف ساعة، واقترب موعد مغادرتنا للمكان. وضع صاحب المكان -الذي لا أعرف اسمه- يده المباركة على رأسي، ثم انطلقنا أنا ومعلمي مجدداً. عدنا إلى دار الاستراحة، وعند باب الغرفة التي كان من المفترض أن أنام فيها، اختفى هو فجأة في تلك اللحظة.

وفي سيلان أيضاً، أخذتُ إلى مكانٍ معيّن حيث يعقد "المعلمين" مجلسهم. وبعد ذلك، التقيتُ بـ "المعلم" بمفردنا مرتين أو ثلاث مرات للغرض ذاته. يا لها من لحظاتٍ سعيدةٍ تلك التي كنا نجلس فيها معاً في منتصف الليل، نتبادل الحديث دون أن يزعجنا أحدٌ أو شيءٌ! كنا في خلوةٍ تامةٍ خلال ذلك الوقت.

اصطُحِبْتُ أيضاً إلى مكانين آخرين؛ أحدهما بالقرب من كولومبو، وهو منزل خاص يخص «المعلم»، والآخر بالقرب من كاندي، وهو مكتبة. ولا يحضرني الآن سوى أربعة أماكن زرتها خلال وجودي في سيلان.

في إحدى الأمسيات، وبعد أن ارتديت ملابس لي لتناول العشاء على متن الباخرة -التي كانت تقلنا عائدين إلى بومباي من سيلان- أخرجت معطفي من حقيبتي لأرتديه بعد العشاء. وكما جرت عادتي، فحصت جيوبه ووضعتُه على سريري. كانت مائدة العشاء تقع في الجهة المقابلة لمقصورتني مباشرة، مما أتاح لي رؤية أي شخص يدخل إليها أو يخرج منها بسهولة، لكنني لم أرَ أحداً.

بعد أن انتهينا من العشاء، دخلتُ وارتديتُ المعطف. وبدون تفكير، وضعتُ يديّ في جيوبي كما أفعل عادةً، وإذا بي أجد ورقة في جيبِي الأيمن، بينما لم أجد شيئاً بداخله عندما فحصته لأول مرة. أخرجتُ الورقة، ولدهشتي وجدتُ رسالةً موجهةً إلى السيدة بلافاتسكي. أخذتها إلى الضوء. كان غلافها مفتوحاً، ومكتوباً عليها باللون الأحمر: "ليقرأها دامودار". ثم قرأتُ الرسالة.

بينما كنت مستلقياً على فراشي، غارقاً في التفكير المستمر حول هذا الأمر، فاجأني وقعُ خطواتٍ داخل المقصورة التي كنت قد أقفلتها من الداخل. التفتُّ إلى الوراء، فإذا بـ "المعلم" يظهر مجدداً، ومعه شخصان آخران! يا لها من أمسيةٍ ممتعةٍ كانت! قضينا نحو نصف ساعةٍ نتبادل الحديث حول شتى

المواضيع المتعلقة بالمعرفة والفلسفة. لقد كانت تلك أسعد لحظات حياتي! لكن ذلك لم يدم إلا في تلك المرة، ففقدت العزم على أن أجعل نفسي جديراً بالاستمتاع بمثل هذه اللحظات دائماً.

بعد عودتنا من رحلتنا إلى سيلان، غادرت بلافاتسكي والعقيد أولكوت بومباي في 27 أغسطس 1880 متوجهين إلى سيملا وأماكن ثانية في شمال الهند، وذلك في إطار شؤون الجمعية؛ فبقيت بمفردي تقريباً في المقر الرئيسي. كما أقام السيد والسيدة كولومب في المقر أيضاً. كنت أعمل وحيداً تماماً في غرف بلافاتسكي ولم يأت أحدٌ على الإطلاق ليقطع عليّ خلوتي.

في المساء الذي سبق عيد ميلادي (في شهر سبتمبر)، ذهبت كعادتي لتناول العشاء. وبعد العشاء، انتقلنا إلى شرفة المنزل (البنغالو) الخاص بالسيدة بلافاتسكي. انتابني فجأة شعور غريب، وذكرني ضوء القمر الساطع برحلتني إلى ———، حيث خضعتُ أنا والعقيد أولكوت لجلسة "مغطة"¹¹.

في تلك الأثناء، سمعت السيدة كولومب خطواتٍ في غرفة "بلافاتسكي"، وصوت شخصٍ يحاول فتح الخزانة. لم أسمع أنا شيئاً من ذلك، لكنني لم أجروُ على الدخول؛ فقد كانت "بلافاتسكي" قد أوصتني قبل مغادرتها بعدم الدخول، حتى لو سمعتُ أي ضجيج أو أصواتٍ في الداخل. وللسبب ذاته، منعتُ

من مغناطيسية. المترجم.¹¹

الزوجين كولومب من محاولة الدخول -وهو أمرٌ أرادا القيام به خشية أن يكون ثمة خطبٌ ما-، وبعد فترةٍ توقف كل شيء، وذهب الزوجان إلى فراشهما.

دخلتُ غرفة الكتابة، وفوق الطاولة، أمام الساعة مباشرةً، وجدتُ ورقةً كبيرةً مثلثة الشكل. لم يكن هناك شيءٌ من هذا القبيل حين غادرتُ الغرفة لتناول العشاء؛ إذ كنتُ -في كل مرة أدخل فيها الغرفة أو أغادرها- أنظر إلى تلك الساعة، ولو كانت الورقة موجودةً من قبل، لَحَجَبَت عني رؤية أرقام الساعة، وبالتالي لكنتُ لاحظتُ وجودها بالتأكيد.

تناولتها وفتحتها، فإذا بداخلها غطاء رأس مطويٍّ على شكل مثلث، من النوع الذي يرتديه اليوغيين الدراويش (فاكير)¹² وأهالي شمال الهند. وكان مكتوباً في الداخل "إلى دامودار"، تليها الأحرف الأولى من اسم "المعلم". إنها هديةٌ سأحتفظ بها دائماً، وما زلت أحتفظ بها حتى الآن.

بعد ذلك، كنت أتلقي في كثير من الأحيان رسائل من المعلم وآخرين، سواء عبر البريد أو بطريقة غامضة ما.

وفي أحد الأيام، قرابة الساعة الثانية صباحاً، وبعد أن أنهيت عملي، أوصدت باب الغرفة واستلقيت على فراشي. ولم تمض سوى دقيقتين أو ثلاث حتى سمعت صوتاً يناديني من غرفة بلافتسكي. نهضت مذعوراً وتوجهت إلى الداخل، فقالت لي: "هناك أشخاص يرغبون في رؤيتك"، ثم أضافت بعد لحظة:

¹² Fakirs.

"اخرج الآن، ولا تنظر إليّ". وقبل أن أتمكن من الالتفات، رأيتها تتلاشى تدريجياً في مكانها، ومن تلك البقعة ذاتها، انبثق طيف "المعلم".

حين التفتُ عائداً، رأيتُ شخصين آخرين يرتديان ما علمتُ لاحقاً أنه زيّ تبتّي. بقي أحدهما مع "المعلم" في غرفة "بلافاتسكي"، أما الآخر فقد وجدته جالساً على سريري حين خرجتُ. حيّيته وسألته إن كان لديه أيُّ أوامر، فأجابني: "إن وُجدت أيُّ أوامر، فستُبلَّغ بها دون الحاجة إلى السؤال عنها".

ثم طلب مني أن أبقى ساكناً لبعض الوقت، وأخذ ينظر إليّ بتركيز شديد. انتابني شعورٌ ممتع للغاية، وكأنني أخرج من جسدي.

لا أستطيع الآن تحديد مقدار الوقت الذي انقضى بين ذلك وبين ما سأرويهِ الآن. لكنني أدركت أنني في مكانٍ غريب؛ فقد كنتُ في الطرف العلوي من كشمير، عند سفح جبال الهيمالايا. رأيتُ أنني نُقِلْتُ إلى مكانٍ لا يوجد فيه سوى منزلين، يقع أحدهما مقابل الآخر تماماً، دون أيِّ أثرٍ آخر لوجود بشر. ومن أحد هذه الأماكن خرج "كوت هومي"؛ فقد كان ذلك منزله. وفي مقابل موقعه، توقف "المعلم موريا". فأمرني الأخ "كوت هومي" بأن أتبعه¹³.

[للمزيد حول منازل المهاتما كوت هومي والمهاتما موريا، انظر ¹³ الملحق 2 (الصفحات 91-96) في هذا الكتاب]. دانيال إتش. كالدويل.

بعد قطع مسافة قصيرة تبلغ نحو نصف ميل، وصلنا إلى ممر طبيعي تحت الأرض يقع أسفل جبال الهيمالايا. المسار بالغ الخطورة؛ إذ يوجد ممر طبيعي فوق نهر السند الذي يتدفق تحته بكل عنفوانه. لا يتسع هذا الممر إلا لشخص واحد في المرة الواحدة، وأي خطوة خاطئة تعني نهاية المسافر المحتومة.

إلى جانب هذا الجسر، توجد عدة وديان يجب عبورها. بعد السير لمسافة طويلة عبر هذا الممر الجوفي، وصلنا إلى سهل مفتوح في لـ.... ك. يوجد هناك بناء ضخيم يعود تاريخه إلى آلاف السنين. أمامه نصب تذكاري مصري ضخم. يستند المبنى على 7 أعمدة كبيرة على شكل أهرامات. تضم بوابة المدخل قوساً مثلثياً كبيراً. وفي الداخل، توجد شقق متنوعة. المبنى ضخم للغاية، لدرجة أنني أعتقد أنه يتسع بسهولة لعشرين ألف شخص. وقد أُتيحت لي فرصة الاطلاع على بعض هذه الوحدات.

هذا هو المركز الرئيسي الذي يتحتم على كل من يثبت استحقاقه من أعضاء قسمنا للانضمام إلى الأسرار أن يقصده لإتمام مراسمه النهائية، وأن يبقى فيه المدة المطلوبة. صعدت برفقة مُعلّمي (الغورو)¹⁴ إلى القاعة الكبرى. إنّ عظمة المكان وهدوءه كفيلاً بيبث الرهبة في نفس أي شخص. أما جمال المذبح -الذي يتوسط القاعة، حيث يتعين على كل مرشح

¹⁴ Guru.

أداء عهوده لحظة انضمامه- فهو كفيلاً بأن يبهز أكثر الأبصار حدةً وتألقاً. كما أنّ روعة عرش "الرئيس" لا تضاهيها روعة ثانية؛ فكلّ شيءٍ فيها قائمٌ على مبادئ هندسيّة، وتزخر برموزٍ لا تُكشف دلالاتها إلا لمن نالوا شرف الانضمام. غير أنّي لا أستطيع الإفصاح عن المزيد الآن؛ فقد أصبحت مُلزماً بواجب الكتمان، وهو عهدٌ أخذهُ مني "كوت هومي" هناك.

بينما كنت واقفاً هناك، لا أعرف ماذا حدث، وجدت نفسي فجأةً في سريري. كانت الساعة تشير إلى الثامنة صباحاً تقريباً. ما الذي رأيته؟ هل كان حلماً أم حقيقة؟ وإذا كان حقيقة، فكيف استطعت قطع جبال الهيمالايا بأكملها -حتى وإن كان ذلك بجسدي النوراني- في مثل هذا الوقت القصير؟

بينما كنت جالساً في صمتٍ، غارقاً في حيرةٍ أمام هذه الأفكار، سقطت رسالةٌ فجأةً على أنفي. فتحتُها لأكتشف أن الأمر لم يكن حلماً؛ بل إنني نُقلت -بطريقةٍ غامضة- بجسدي النوراني إلى المكان الفعليّ للـ "المسارّة"، حيث سأكون حاضراً بجسدي المادي للمشاركة في المراسم، شريطة أن أثبت استحراقي لهذا التكريم. أما عن حجم سعادتي في تلك اللحظة، فمن الأسهل تخيلها على وصفها بالكلمات.

في التاسع عشر من أبريل عام 1883، في مقر الجمعية الثيوصوفية (أديار، مدراس)¹⁵، كنتُ أجلس أنا وناراسيمولو

في الهند. المترجم. ¹⁵

تشيتي¹⁶ على مقعد قريب جداً من سرير السيدة بلافاتسكي، وكنا نقوم بتهويتها ونحدث فيما بيننا، بهدف مساعدتها تدريجياً على النوم.

فجأة، انتفضت السيدة بلافاتسكي وهتفت قائلة: "إنني أشعر به". وقد شددت علينا ألا نغادر أماكننا، وألا نسمح لأي انفعال بأن يسيطر علينا، بل أن نبقي حيث نحن -دون أن نتحرك قيد أنملة في أي اتجاه- وأن نلتزم الهدوء والسكينة التامين. وفجأة، طلبت منا أن نمد أيدينا، فأمسكت باليد اليمنى لكل واحد منا. ولم تكد تمضي دقيقتان حتى رأينا "المعلم موريا" يظهر من جهة الباب الشبكي لغرفة نوم السيدة بلافاتسكي ويقترب منها.

كانت طريقته في المشي بالغة الرفق، بحيث لم يُسمع لها وقع قدم ولا أدنى صوت؛ كما لم تظهر عليه أي إيماءات توحى بحركته. ولم ندرك أنه اقترب منا أكثر فأكثر إلا من خلال تغير موقعه. وقف تماماً في مواجهة السيدة "بلافاتسكي"، على مسافة لا تكاد تبلغ طول ذراع منا. كنا نحن في هذا الجانب من السرير، بينما كان هو في الجانب الآخر.

لقد رأيته مرات كافيةً لأتمكّن من التعرف عليه على الفور. ثم انحنى فوق السرير. كان يرتدي معطفه الأبيض الطويل المعتاد، ويضع على رأسه تلك العمامة¹⁷ المميزة، بينما كان

¹⁶ Narasimhulu Chetty.

¹⁷ Turban.

شعره الأسود الطويل ينسدل على كتفيه العريضتين، وتتدلى
لحيته الطويلة؛ فبدا -كعادته- لافتاً للأنظار وذا مظهرٍ بديع.

كان يقف بالقرب من بابٍ فُتحت مصاريعُه. ومن خلالها، سقط
ضوء المصباح عليه، بينما غمره ضوء القمر المتسلل عبر
النوافذ المفتوحة أيضاً. أما نحن، فقد كنا في الظلام - أي لم
يكن هناك ضوءٌ يقع على أعيننا، إذ كنا نتخذ وضعاً يجعلنا في
مواجهة النوافذ التي يأتي منها ضوء القمر- مما مكننا من
الرؤية بوضوحٍ وجلاءٍ تام.

مدَّ يديه مرتين فوق رأس السيدة "ب". فمدَّت هي يدها، فمرت
عبر يده؛ وهي حقيقةً تثبت أن ما رأيناه كان "مايا في روبا"¹⁸
(أي جسداً تجسدياً/طيفياً)، رغم أنه كان نابضاً بالحياة وواضحاً
لدرجةٍ توحى للنظر بأنه جسدٌ ماديٌّ فيزيائيٌّ حقيقيٌّ. أخذتُ
الرسالة من يديه على الفور. انكشفت الرسالة -إن جاز
التعبير- وأصدرت صوتاً. ثم لَوَحَ بيديه نحونا، وخطا بضع
خطواتٍ -دون صوتٍ أو أثرٍ، تماماً كما كان حاله من قبل- ثم
اختفى!

ثم ناولتني السيدة "ب" الرسالة، إذ كانت موجهةً إليّ. ولن
أنسى أبداً تجربة تلك الليلة؛ فقد كانت واضحةً وجليلةً وملموسةً
لبلغاية.

تعرف عليه ناراسيمولو على الفور، فقد رآه بوضوح تام وعن
قُرب. ويبدو أن "المعلم موريا" كان موجوداً في مدراس عام

¹⁸ Mayavi Rupa.

1874، حيث رآه كلٌّ من سوبيا¹⁹ وناراسيمولو، رغم أنهما لم يكونا على دراية بأي تفاصيل ثانية عنه. وما ترك أثراً في ذهنيهما آنذاك هو اختفاؤه المفاجئ أمام أعينهما مباشرة. ويؤكد ناراسيمولو -بقسم غليظ- أنه الشخص ذاته الذي رآه في عام 1874.

في لاهور، خلال شهر نوفمبر من عام 1883، زارني المهاتما "كوت هومي" بجسده المادي؛ إذ تكررت زيارته لثلاث ليالٍ متتالية، استغرقت كل منها نحو ثلاث ساعات. وفي إحدى المرات، خرجتُ للقائه خارج المنزل، ثم عدتُ برفقته إلى الداخل، وقدمتُ له مقعداً، ودار بيني وبين "المعلم" حوارٌ طويل. وعلاوة على ذلك، فإن الشخص الذي رأيته بشخصه في لاهور هو ذاته الذي سبق أن رأيته بهيئته النورانية في مقر "الجمعية الثيوصوفية"، وهو أيضاً الشخص نفسه الذي كنتُ أراه -خلال رؤاي وحالات الغيبوبة الروحية- في منزله الواقع على بُعد آلاف الأميال؛ وهو مكانٌ تمكنتُ من الوصول إليه بـ "ذاتي²⁰ النورانية" بفضل مساعدته وحمايته المباشرتين.

في تلك الأوقات التي كانت فيها قدراتي الروحية لا تزال في بداياتها، كنتُ أراه دائماً في هيئة غائمة نوعاً ما، رغم أن ملامحه كانت واضحة تماماً ومحفورة بعمق في ذاكرتي وفي عين روحي. أما الآن، في لاهور وجامو وأماكن ثانية، فقد كان

¹⁹ Subbiah.

²⁰ Ego.

الانطباع مختلفاً تماماً؛ ففي الحالات السابقة، حين كنت أؤدي "البرانام"²¹ (التحية)، كانت يداي تمران عبر هيئته، بينما في هذه المرات الأخيرة، اصطدمت يداي بملابس ملموسة وبجسدٍ صلب.

رأيتُ هنا أمامي رجلاً حياً، تتطابق ملامحه مع تلك التي طالما تأملتها في الصورة التي كانت بحوزة السيدة بلافاتسكي، وتلك التي كانت لدى السيد سينيت؛ غير أنه كان يبدو في هيئته العامة ووقاره أكثر مهابةً بكثير.

وفي جامو -التي قصدناها بعد مغادرتنا لاهور- حالفني الحظ بأن أدعى لزيارة "أشرام"²² (معبد أو مقام روحي) مقدس، حيث مكثت بضعة أيام في رفقةٍ مباركةٍ مع ثلثةٍ من "المهاتما" -أولئك الذين طالما أحاط الشك بوجودهم- القادمين من جبال الهيمافات²³ (الهيمالايا)، ومعهم تلاميذهم. وهناك، لم ألتق بمعلمي الروحي (غورو-ديفا)²⁴ "كوت هومي"²⁵ فحسب، ولا بـ "موريا" -معلم العقيد أولكوت- بل التقيتُ أيضاً بآخرين من أعضاء هذه الجماعة الروحية، بمن فيهم أحدُ أسمى الشخصيات مقاماً بينهم.

²¹ Pranam.

²² Ashram.

²³ Himavat.

²⁴ Gurudeva.

²⁵ Koot Hoomi.

المكان الذي سُمح لي بزيارته يقع في جبال الهيمالايا. لقد رأيته بجسدي المادي²⁶، ووجدت أن معلمي (الـ "ماستر") هو ذاته الشخص الذي رأيته صورته في بدايات عهدي كمريد (تلميذ روحي). وهكذا، لم أرَ معلمي المحبوب كرجلٍ حيٍّ فحسب، بل بدا لي - مقارنةً ببعض اليوغيين النساك²⁷ الآخرين في تلك الجماعة المباركة - شاباً في مقتبل العمر، يتسم بفيضٍ من اللطف، ولا يترفع عن إلقاء الدعابات أو تبادل الأحاديث المرحية من حينٍ لآخر.

وهكذا، في اليوم الثاني من وصولي، وبعد وقت تناول الطعام، أُتيحت لي فرصة التحدث مع "معلمي" لأكثر من ساعة. وحين سألني مبتسماً عن سبب نظراتي المليئة بالحيرة تجاهه، بادرته بالسؤال: "كيف يفسّر يا معلمي أن بعض أعضاء جمعيتنا قد ترسخت لديهم فكرة أنك 'رجل مسن'، بل إنهم زعموا أنهم رأوك - عبر الرؤية الاستبصارية - كرجلٍ تجاوز الستين من عمره؟".

فابتسم بلطف وقال إن هذا الاعتقاد الخاطئ الأخير نشأ بسبب روايات أحد "البراهماشاري"²⁸ (طالب في الفلسفة الفيدانتية)، الذي التقى في العام الماضي في التبت بزعيم إحدى الطوائف - وهو "لاما"²⁹ مسنّ كان في ذلك الوقت رفيقاً في السفر

²⁶ sthula sarira.

²⁷ Sadhus.

²⁸ Brahmachari.

²⁹ Lama.

لمعلمي، ولأن ذلك "البراهماشاري" تحدث عن هذا اللقاء حين عاد إلى الهند، فقد ظنّ بعض الناس خطأً أن ذلك "اللاما" هو معلمي نفسه³⁰.

أما بخصوص رؤيته عبر الاستبصار على هيئة "رجل مسن"، فقد أضاف أن هذا أمر مستحيل؛ إذ لا يمكن للاستبصار الحقيقي أن يوقع أحداً في مثل هذه التصورات الخاطئة. ثم وبخني بلطف لأنني أوليت أهمية لعمر "المعلم" (الغورو)، مشيراً إلى أن المظاهر غالباً ما تكون خادعة، إلى جانب توضيحه لنقاط ثانية³¹.

المهاتما كوت هومي. المترجم.³⁰

[ملاحظة: تم تجميع الفصل الأول أعلاه من عدة مقالات ورسائل كتبها³¹ دامودار ك. مافالانكار ونُشرت في كتاب دامودار ورواد الحركة الشيوصوفية، جمعها سفين إيك، أديار، مدراس، الهند، دار النشر الشيوصوفية: 1965، الصفحات 167-168، 495-497، 55-62، 307-308، و335-337].